مجلة الدراسات التاريخية العسكرية
Journal of Military Historical Studies ISSN:2676-2463
المجلد الثالث / العدد: الثاني (جويلية 2021)، ص 66-87
تاريخ الاستلام: 2021/06/06. تاريخ القبول: 2021/06/16

# دور الاستخبارات الجزائرية في تأمين مدينة الجزائر وتحرير وهران في القرن الثامن عشر

# The role of Algerian intelligence in securing Algiers and liberating the city of Oran in the 18th century.

الدكتور شوقي عبد الكريم

جامعة الجزائر 02

krimchougui@gmail.com

**ملخص:**

إن مرحلة حكام الجزائر الذين حملوا لقبي الداي والباشا (حكم الدايات الباشوات)، الممتدة من عام 1711م إلى 1830م، تعتبر عهد الاستقلال شبه التام عن سلطة الخلافة العثمانية، حيث كان حاكم الجزائر يحظى فيها بإجماع الديوان في الجزائر، ابتداءً من عهد علي شاوش في عام 1711م، وأصبح حكام الجزائر مستقلين استقلالا كاملا عن السلطة المركزية، وما الارتباط الذي كان يجمع بينهم سوى ارتباط روحي، متمثل في تبعية شكلية للخلافة الاسلامية العثمانية، التي كانت تمثل أعلى سلطة روحية في العالم الاسلامي آنذاك.

ويمكن تقسيم تلك المرحلة إلى فترتين رئيسيتين، الاولى تمتد من عام 1711م تاريخ بداية ذلك العهد، وإلى غاية التحرير النهائي لمدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني عام 1792م، أما الفترة الثانية فتضم ما بقي من مدة ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية، أي منذ تحرير وهران عام 1792م إلى غاية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر العاصمة في الخامس من جويلية عام 1830م.

لكل الأسباب السالفة الذكر وغيرها، فإن الجزائر في تلك المرحلة كانت مطالبة أكثر من ذي قبل بفرض وجودها، واقتحام الساحة الدولية والمحلية من أجل لعب الدور الريادي المطلوب منها في المنطقة، لذلك كانت في حاجة ماسة إلى الحصول على كمية كبيرة من المعلومات الاستخباراتية المضبوطة والدقيقة، ومحاولة جمع أكبر قدر منها، قصد استغلالها في اتخاذ الاجراءات السياسية أو العسكرية المناسبة، التي تقي البلاد من كل مكروه في الوقت المناسب، والظرف الانسب.

إن دور الاستخبارات الجزائرية في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر كان جد حساس، وعرف عدة محطات ومواقف كان لها أثر جد هام في مسار الأحداث، بالجزائر خاصة ومنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عامة، والذي سوف يتم الوقوف عند تفصيل البعض منه، والذي كان له بالغ الاهمية في تاريخ الجزائر آنذاك، أو فيما بعد، لاسيما أنه مع نهاية هذا العهد عرفت أكبر تتويج في تاريخ صراعها مع الاسبان، والمتمثلة في تحريرها النهائي لمدينة وهران والمرسى الكبير نهائيا عام 1792م .

**الكلمات المفتاحية:** الجزائر ; وهران ; الاستخبارات ; المرسى

**المؤلف: الدكتور شوقي عبد الكريم**
البريد الالكتروني:krimchougui@gmail.com

**Abstract**

The period of the governors of Algiers who bore the titles of Dey and Pasha at the same time (the reign of Pashas Deys), which extended from 1711 to 1830, is considered as an era of semi-independence from the authority of the Ottoman Caliphate.From the era of Ali Shawashonward, especially after 1711,the governors of Algierswere usually electedunanimouslyby the Diwan, which meant that Algiershas become completely independent from the central authority of Istanbul, thus the relation that linked them was not more than a spiritual linkembodiedin the form of the Ottoman Islamic Caliphate.

The saidperiodcould be divided into two main sub-periods, the first extending from 1711 to the final liberation of the city of Oran and Marsa El Kébir from the Spanish Occupation in 1792. The second period includes the remainder of the period of Algeria's association with the Ottoman Caliphate, that is, from the liberation of Oran in 1792 until the French Occupation of the city of Algiers, on July5$^{th}$ 1830.

For all the aforementioned reasons, Algiers at that stage was more obliged than before to impose its presence, and to break into the international arena. Therefore, it was in dire need of obtaining a large amount of accurate and precise intelligence, And trying to collect as much of it as possible, in order to exploit it in taking appropriate political or military measures, which would protect the country from all harm, at the right time and in the most appropriate circumstance.

The role of the Algerian intelligence in this crucial stage of Algeria's history was very sensitive. It knew several situations that had a very important impact on the course of events, in Algeria in particular and in the western basin of the Mediterranean region in general, especially since the end of this era it witnessed the biggest culmination in the history of its struggle with the Spaniards, represented in its final liberation of the city of Oran and Marsa El Kébir in 1792 AD.

**Keywords:** Algeria ; Oran ; Intelligence ; Marsa El Kébir ; Deys ; Spaniards

AD.

**مقدمة:**

إن مرحلة حكام الجزائر الذين حملوا لقبي الداي والباشا (حكم الدايات الباشوات)، الممتدة من عام 1711م إلى 1830م، تعتبر عهد الاستقلال شبه التام عن سلطة الخلافة العثمانية، حيث كان حاكم الجزائر يحظى فيها بإجماع الديوان في الجزائر، ابتداءً من عهد علي شاوش في عام 1711م، وأصبح حكام الجزائر مستقلين استقلالا كاملا عن السلطة المركزية، وما الارتباط الذي كان يجمع بينهم سوى ارتباط روحي، متمثل في تبعية شكلية للخلافة الاسلامية العثمانية، التي كانت تمثل أعلى سلطة روحية في العالم الاسلامي آنذاك.

ويمكن تقسيم تلك المرحلة إلى فترتين رئيسيتين، الاولى تمتد من عام 1711م تاريخ بداية ذلك العهد، وإلى غاية التحرير النهائي لمدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني عام 1792م، أما الفترة الثانية فتضم ما بقي من مدة ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية، أي منذ تحرير وهران عام 1792م إلى غاية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر العاصمة في الخامس من جويلية عام 1830م.

لكل الأسباب السالفة الذكر وغيرها، فإن الجزائر في تلك المرحلة كانت مطالبتًا أكثر من ذي قبل بفرض وجودها، واقتحام الساحة الدولية والمحلية من أجل لعب الدور الريادي المطلوب منها في المنطقة، لذلك كانت في حاجة ماسة إلى الحصول على كمية كبيرة من المعلومات الاستخباراتية المضبوطة والدقيقة، ومحاولة جمع أكبر قدر منها، قصد استغلالها في اتخاذ الاجراءات السياسية أو العسكرية المناسبة، التي تقي البلاد من كل مكروه في الوقت المناسب، والظرف الانسب.

إن دور الاستخبارات الجزائرية في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر كان جد حساس، وعرف عدة محطات ومواقف كان لها أثر جد هام في مسار الأحداث، بالجزائر خاصة ومنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عامة، والذي سوف يتم الوقوف عند تفصيل البعض منه، والذي كان له بالغ الاهمية في تاريخ الجزائر آنذاك، أو فيما بعد، لاسيما أنه مع نهاية هذا العهد عرفت أكبر تتويج في تاريخ صراعها مع الاسبان، والمتمثلة في تحريرها النهائي لمدينة وهران والمرسى الكبير نهائيا عام 1792م.

**الاستخبارات مع فرنسا وانجلترا:**

تعود جذور العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى نهاية القرن سادس عشر، وذلك بعدما استطاعت هذه الأخيرة في تلك المرحلة تحقق امتيازات واسعة لدى الدولة العثمانية، من خلال تجديد معاهدتها معها عام 1581م، وعملت فيما بعد، كل ما في وسعها من أجل إلزام الجزائر بها، للحصول على نفس الامتيازات لديها، مما ولد حساسية مفرطة بين البلدين، وكان سبباً في توتر العلاقات بينهما، إذ وصلت في بعض الأحيان إلى حد نشوب نزاعات مسلحة[1].

لقد تميزت مرحلة القرن الثامن عشر بتبادل المراسلات والتهاني عند مختلف المناسبات بين الحكومة الجزائرية من جهة والحكومة الفرنسية من جهة أخرى، والتي منها: رسالة الملك لويس الرابع عشر Louis XIV[2] إلى الداي علي شاوش[3] بمناسبة توليه مقاليد الحكم بالجزائر، والتي أكد له فيها على أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة بين رعاياه، ورعايا الجزائر، ثم تمنى له الاستقرار الأكثر لحكومته...[4]. ورغم تحسن العلاقات السياسية إلا أن النشاط الاستخباراتي كان متواصلا بين الدولتين، وذلك لحاجة كل واحدة منهما لمعرفة نوايا وتحركات الأخرى، الظاهر منها والخفي، وكذلك لمعرفة اتصالاتها وعلاقاتها مع الدول الأخرى، وفي ذلك الاطار يدخل الاحساس بالشك والريب، الذي أبدته السلطات الفرنسية عام 1711م بمدينة مرسيليا، من اليهودي أنطوان فيليب لوباز Antoine Philippe Lopez، الذي اعتبر عميلاً، أو على الاقل رجل اتصال يعمل لصالح الجزائر، وعليه فقد أمر الملك لويس الرابع عشر شخصيا في رسالته المؤرخة في 28 مارس 1711م بطرده من المدينة إلى مدينة بوردو دون إعطائه أي مهلة، إذ أراد ذلك[5]. ويلاحظ أن ذلك القرار غريب.

ومن خلال تلك الحادثة يتبين أنه رغم حالة السلم المعقود بين الدولتين في تلك الفترة، وذلك منذ التوقيع على معاهدة السلم بينهما في 19 سبتمبر عام 1689م، فإن حالة من الصراع الخفي والمنافسة كانت تسود بينهما في مجال الجوسسة والاستخبارات، وذلك مع اهتمام أعلى السلطات في البلدين بها، وما وجود مثل هذا الشخص يعمل سرا لصالح الجزائر في مدينة مرسيليا الفرنسية، والتي كانت تعد آنذاك قطبا تجاريا واقتصاديا هاما في فرنسا، إلا دليل على مدى اهتمام دولة الجزائر بذلك النشاط، واستغلالها له في بناء سياستها الدولية، وربط علاقاتها الدبلوماسية خاصة مع فرنسا.

وكما سعت هولندا في تلك الفترة إلى ابرام معاهدة مع الجزائر تحمي بها سفنها وتجارتها. وكان التواصل بينهما يتم عن طريق التجار اليهود الذين ينشطون في مدينة مرسيليا الفرنسية[6]. ولا يستبعد أن تكون الاستخبارات الفرنسية قد علمت أو أحست بذلك، فأرادت أن تعيق ذلك عن طريق تضييق مجال نشاط أولئك التجار، لان فرنسا كانت تعتبر آنذاك هولندا وباقي الدول الأوروبية منافسا لها في نشاطها الاقتصادي بالجزائر، خاصة الانجليز، ومن ثمة عملت كل ما في وسعها من أجل الانفراد بالامتيازات الاقتصادية معها.[7]

وفي نفس الإطار علمت فرنسا عن طريق استخباراتها بالجهود الانجليزية في الجزائر، من أجل استمالة حكامها، وتحريضهم ضدها بقصد تعكير العلاقات الحسنة التي تجمعهم بها كما سبقت الاشارة إليه، والاستحواذ على المراكز التجارية الممنوحة للشركة الفرنسية بالشرق الجزائري. ولتفويت الفرصة عليهم ووضع حد لتلك المحاولات الانجليزية، قام الملك الفرنسي لويس الربع عشر بتحرير عدد من الاسرى الجزائريين، الذين كانوا يمثلون مصدر قلق في العلاقات بين البلدين، والمطلب الملح للجزائر في كل مناسبة، وأرسلهم عام 1711م على متن سفينته الخاصة فلورون Fleuron إلى ميناء الجزائر، لكسب ود الجزائريين وتمتين علاقات التفاهم معهم. كما فرض سيطرته المباشرة على أملاك شركة هيلي الفرنسية بالقالة عام 1713م لمدة خمس سنوات، وأطلق عليها اسم الشركة الافريقية La Compagnie d'Afrique، ليضع حدا لأطماع الانجليز والجنويين فيها[8].

كما أرسل في عام 1714م الضابط دوكين موني Duquesn Monier، حفيد الأميرال المشهور بحملاته على الجزائر[9]، ليطلب من الداي اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الجنويين من ارتياد مياه القالة، للحفاظ على المصالح الاقتصادية الفرنسية بالمنطقة، وذلك بعد حصول فرنسا على معلومات بخصوص الانتهاكات الجنوية، فاستجاب الداي لطلبه، ومنعهم ايضا من ارتياد سواحل عنابة، وحتى طبرقة التونسية[10].

وقد استمرت العلاقات بين الجزائر وفرنسا على نفس الوتيرة والنسق، طوال عهد الملك لويس الرابع عشر الذي توفي عام 1715م، وخلفه على رأس العرش الفرنسي حفيده الملك لويس الخامس عشر Louis XV[11]، الذي تكاثفت في عهده وخاصة في عام 1719م جهود ومساعي الانجليز من جديد، لافتكاك المراكز التجارية الممنوحة للشركة الفرنسية بالشرق الجزائري، ولكن علم الحكومة الفرنسية بذلك الامر عن طريق استخباراتها، جعلها تسارع إلى إرسال مفاوضيها إلى الجزائر عام 1719م، يتقدمهم مدير الباستيون دونيس دوسل Denis Dusault، مدعما بقوة بحرية مشكلة من عدة سفن تحت قيادة النقيب دوكين موني Duquesne Monnier، وذلك من أجل تفويت الفرصة على الانجليز مرة أخرى، والتأكيد لحكومة الجزائر على متانة العلاقات بين البلدين. وكان من نتائج تلك المفاوضات تثبيت معاهدة السلم في يوم 23 ديسمبر عام 1719م[12]، التي كانت تجمع بين البلدين منذ عام 1689م، وتم أيضا بعدها إقرار وتثبيت معاهدة استغلال امتياز الباستيون حسب نفس الشروط السابقة[13]، وذلك في 20 فبراير 1720م[14].

ولقد منحت معاهدة السلم عام 1719م لفرنسا حق تعيين نائب لقنصلها في مدينة وهران، وذلك بحجة العمل على خدمة وصيانة مصالح الرعايا الفرنسيين المتواجدين بها منذ العهد الاسباني، أي قبل تحريرها الاول عام

1708م، حيث كان الكثير منهم يشاركون مع الاسبان في الدفاع عنها. غير أن الوقائع المسجلة آنذاك تثبت أن الفرنسيين كانوا يبذلون جهودًا كبيرة، من أجل الحصول على موضع قدم في المدينة، وذلك قصد الوقوف في وجه النفوذ التجاري الانجليزي بها، بعد اتصالهم بمعلومات استخباراتية تخطرهم عن النتائج الايجابية التي جناها الانجليز، جراء استفادتهم من معاملاتهم التجارية بالمدينة بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني، خاصة في تزويد قواعدهم ومناطق نفوذهم بجبل طارق، وميناء ماهون[15]، وحمايتها من الاعتداء والمنافسة[16].

وبحلول عام 1723م شرع أحد الفرنسيين والمدعو ميشين Maichens في التفاوض مع الداي، من أجل الحصول على امتياز انشاء مركز تجاري فرنسي بوهران، وقد تحقق له ذلك بعد اقناع الداي عام 1724م بذلك، وبإقامة مراكز أخرى على طول الساحل الغربي للجزائر من أجل منافسة الانجليز[17].

واستمر الوضع بين البلدين على حاله إلى غاية 1729م، تاريخ تعرض سفينتين جزائريتين إلى اعتداء من طرف فرسان مالطة، ووصول أخبار ومعلومات عن تورط الفرنسيين في تلك المؤامرة على الجزائريين، فأمر الداي كور عبدي[18] بالاستيلاء على قيادة السفن الفرنسية المرابطة بميناء الجزائر، كما هاجم بعض السفن الفرنسية المتواجدة بالسواحل الفرنسية وألقى القبض على عدد منها[19].

ورغم الارباح الكبيرة التي جنتها فرنسا من خلال المعاملات التجارية، التي أقامتها مع سكان مدينة وهران والإقليم الغربي بعد إقامتها لمركزها التجاري بها، فإنها قد مالت سرا إلى التعامل والتآمر مع الاسبان ضد الجزائر، حيث تخلفت سفنها في ربيع عام 1732م عن القدوم كعادتها إلى مدينة وهران، من أجل شحن ونقل البضائع والسلع التي كانت معتادة على ايصالها إلى مستهلكيها في أوروبا، وذلك لتسخيرها في نقل جنود الحملة الاسبانية التي كانت على وشك الهجوم على وهران والمرسى الكبير[20].

كما كان للجوسسة الفرنسية بمدينة وهران دور هام وحساس في دعم الاسبان، ومساعدتهم على اعادة احتلالها. وقد تمكن القنصل الفرنسي من اقناع باي المدينة بوشلاغم، بضرورة إنزال المدافع التي كانت موجودة فوق مرتفعات وجدران حصن مرجاجو المطل والمتحكم في شاطئ وسهل الاندلس، وبذلك مهد للإنزال الاسباني فيه. كما بعث برسالة إلى قائد الحملة الاسبانية مونتامر Montamer، المحاصر للمدينة بعد تمكنه من الانزال في شاطئ الاندلس، يخبره فيها عن قيام الباي ومعظم مساعديه بالخروج رفقة زوجاتهم وأموالهم من المدينة، قصد إيصالهم إلى مكان آمن ثم العودة من أجل الدفاع عنها بكل بسالة، الامر الذي جعل القائد الاسباني يستغل الفرصة ويزحف على المدينة في تلك الليلة ودون أي تأخر، وتمكنه من دخولها دون عناء يذكر[21].

ولقد سجل أنه بعد إعادة احتلال وهران والمرسى الكبير من طرف الاسبان عام 1732م، كلف الانجليز اليهودي بوشناق تبليغ الداي بابا إبراهيم[22] عن استعدادهم لمساعدة الجزائر في طرد الاسبان مقابل منحهم المؤسسات الفرنسية بالجزائر، خاصة مخازن ميشين بوهران، والغرب الجزائري التي كانت تعتبر أوكارًا للجواسيس الاسبان[23] وفي ذلك إشارة واضحة إلى تعرض الجزائر إلى تعاون وتنسيق عسكري واستخباراتي فرنسي إسباني مفضوح.

الأمر الذي لم يكن ليغيب على الجزائر التي كانت تتابع الوضع عن كثب، إذ استطاعت استخباراتها إطلاع الداي بكل التفاصيل حول ذلك التعاون بين القوات الفرنسية والاسبانية، وكذا حول كل اساليب الخداع والاحتيال المنتهجة من طرف فرنسا في هذا الخصوص، بالإضافة إلى نوع المساعدات وحجمها، ولذلك أمر بالقبض على عدد من الضباط الفرنسيين وقعوا أسرى بين أيدي الجزائريين، أثناء محاولات الجيش الاسباني القيام بهجمات خارج وهران، كما أن الاسطول الجزائري تمكن من ضبط بعض السفن الفرنسية، تقوم بنقل المؤن والأرزاق للجيش الاسباني في مدينة وهران والمرسى الكبير فاستولى عليها وعلى حمولتها، وحينما حاول القنصل الفرنسي بينوا لومير Bénoit Lemaire[24]، تقديم

شكوى بذلك إلى الداي، رد عليه بقوله "إن ملكك يدّعي بالصداقة لنا، لكنكم تقومون بمحاربتنا وقد شاهدنا سفنكم بالمقدمة"، ورفض طلب القنصل رفضًا باتًا، وتظاهر بالميل نحو الانجليز ومنح قنصلهم امتيازات كلامية واسعة قصد إغاظة الفرنسيين[25].

ونظرا لموقف الداي المحابي للإنجليز، فقد كلفت الحكومة الانجليزية اسطولها البحري بفرض حصار على مدينة وهران لصالح الجزائر[26]، بهدف إقامة مراكز تجارية لها في المرسى الكبير. غير أن القنصل الفرنسي بدأ يحيك الدسائس داخل صفوف الإنكشارية، وأشاع بينهم أن خطر الانجليز في المرسى الكبير أشد عليهم من الاحتلال الاسباني له. ولقد نجح في مسعاه التآمري، إذ جعل الإنكشاريين والداي يشكُّون في المسعى الانجليزي، ويرفضون المساعدة الانجليزية في استرجاع وهران[27].

ومع ذلك فإن الداي بابا ابراهيم وبخ القنصل الفرنسي بالجزائر بينوا لومير، على تصرفاته ومعاملاته السيئة التي لا تليق بالرجل الدبلوماسي، بعد أن علم بها من خلال عيونه وجواسيسه من دون شك، مما جعله يغضب بشدة ويراسل ملكه بذلك، فقامت الحكومة الفرنسية بإرسال عدة قطع بحرية من الأسطول الفرنسي، تحت قيادة دوكورت Dokurt عام 1734م، بغرض تعضيد قنصلها أمام الداي بابا ابراهيم، غير أن هذا الاخير رفض رفضا قاطعا الاستقبال أو الاتصال بقادة تلك السفن ما لم يُسحب القنصل بينوا لومير، ويُغير بآخر يحسن التصرف مع الجزائر وحكامها، وكذا مع الرعايا الفرنسيين الذين كانوا هم أيضا يتذمرون من معاملته، وعادت الحملة دون تحقيق أي نتيجة تذكر مما جعل الحكومة الفرنسية تستجيب لطلب الداي، حيث استبدلته عام 1735م بقنصل جديد هو دو ماريني De Marigny، الذي استمر في ذلك المنصب حتى عام 1740م[28].

كما يذكر أن الداي قدم لقادة السفن الدليل المقنع عن المغالطات، التي كان يبعث بها القنصل بينوا لومير إلى ملكه، عن الجزائر وحكامها، وكذا تصرفاتها، وأيضا عن التعاون الفرنسي الاسباني ضد الجزائر في وهران[29].

وبحلول عام 1741م التجأت سفينتان جزائريتان إلى ميناء طولون الفرنسي، هربا من عاصفة بحرية أدركتهما بالمنطقة، ومكثتا هناك خمسة عشر يوما، وبعد خروجهما من الميناء تعرضتا إلى هجوم مفاجئ من السفن الاسبانية التي كانت مختبئة في السواحل الفرنسية، حيث تمكنت من أسر إحدى السفن الجزائرية، بينما تمكنت الثانية من الافلات والنجاة، وحين وصولها إلى الجزائر أخبر بحارتها بتواطؤ الفرنسيين بالحادثة، وأنهم هم من أخبر الاسبان بمكان اختباء السفينتين الجزائريتين. كما أنهم لم يتدخلوا لإنقاذ السفينة الجزائرية التي أسرت تحت أعينهم، وفي مياههم الاقليمية، رغم أن المعاهدة التي تجمع بين البلدين تنص صراحة عن تقديم الدولتين العون لسفن بعضهما البعض، في حال تعرضها إلى أي اعتداء بمياههما الاقليمية في حدود الثلاثين ميلا بحريا، فغضب الداي واستولى على السبع سفن الفرنسية التي كانت بميناء الجزائر، وأسر بحارتها وسجنهم، كما طلب من باي قسنطينة بمحاصرة المراكز التجارية الفرنسية في القالة وعنابة، وأسر من بها من الفرنسيين[30].

أما الانجليز الذين كانوا يتابعون الوضع عن كثب بفضل استخباراتهم في المنطقة، فقد اغتنموا فرصة حدوث هذه الأزمة في العلاقات الجزائرية الفرنسية، لعرض خدماتهم على الجزائر والسعي سرا من أجل الحصول على المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري، ولكن علم الفرنسيين بتلك المساعي والتحركات الانجليزية عن طريق جواسيسهم، جعلهم يسارعون إلى احتواء الوضع، وعلاج الأمر قبل فوات الأوان، فحرروا الاسرى الجزائريين من قبضة الاسبان وأعادوهم وسفينتهم إلى الجزائر في عام 1742م، كما سحبوا قنصلهم الذي عينوه عام 1740م دو جونفيل De jonnville، لفشله في احتواء الوضع والمحافظة على العلاقات الحسنة مع الجزائر، وعوضوه بقنصل جديد هو فرنسوا ايفان Francois Evant[31].

غير أن العلاقة بين الطرفين عادت إلى التردي من جديد عام 1744م، بعد وصول معلومات استخباراتية إلى الجزائر عن طريق الانجليز، مفادها شروع الفرنسيين في تقوية وتحصين وتسليح مراكزهم التجارية بالشرق الجزائري، قصد تحويلها إلى استحكامات ومواقع عسكرية وحربية، مع عملهم على إقامة اتصالات سرية مع فرسان مالطة، أعداء الجزائر عن طريق أعوانهم التجاريين، فزحف عليها الجيش الجزائري بأمر من الداي بابا ابراهيم، وقام بالاستيلاء عليها، وعلى كل ما كانت تحويه، وأسر من بها، وأغلق مؤسساتها، التي لم يُعاد فتحها إلا في العام الموالي، من طرف الداي ابراهيم الصغير[32] بعد خلافته للداي بابا ابراهيم عام 1745م[33].

كما واصلت الاستخبارات الجزائرية مراقبة التحركات والمساعدات الفرنسية للإسبان بوهران، وفي ذلك الإطار تمكنت عام 1747م من رصد سفينة فرنسية قادمة من مدينة برشلونة الاسبانية في اتجاه مدينة وهران، فألقت البحرية الجزائرية عليها القبض واقتادتها إلى ميناء الجزائر، وكان على متنها سبعون جندي اسباني[34].

وفي نفس الاطار استطاعت الاستخبارات الجزائرية رصد تحركات اسبانية عام 1749م، تفيد بوجود استعدادات عسكرية حثيثة للجيش الاسباني، كان يرجح أنها موجهة لقنبلة وضرب مدينة الجزائر، لذلك كتب القنصل الفرنسي الجديد المعين عام 1749م بالجزائر، السيد أندري ألكسندر لومير André-Alexandre Lemaire[35]، إلى الحكومة الفرنسية يخبرها عن حالة القلق والهيجان التي وجد المدينة فيها عند قدومه إليها يوم 21 ماي عام 1749م، وذكر أيضا أن درجة الاحتقان ضد الاوروبيين والمسيحيين كانت على أشدها، بحيث كانوا يعتبرونهم أعداء، ولم يسلم من ذلك الشك والريب حتى الذين كانوا إلى ذلك الحين غير أعداء لهم، إذ اعتبروهم أعداء سريين، ولم يسلم من ذلك الشعور حتى الانجليز، الذين تم الاستيلاء على حمولة إحدى سفنهم، التي لم تكن تحمل جوازات مطابقة للمتفق عليه، والتي كانت قيمتها تتجاوز المليون من العملة الفرنسية آنذاك[36].

هذا مع بقاء الاستخبارات الجزائرية يقظة حيال كل التحركات الأوروبية في المنطقة، حيث تمكنت بعد مراقبة الانجليز من الاطلاع على الدور المزدوج، الذي كانوا يضطلعون به في علاقتهم مع كل من الجزائر واسبانيا، مثلهم مثل الفرنسيين، خاصة بعد عقد الاتفاق التجاري الانجليزي الاسباني لعام 1750م، والذي سمح للسفن الانجليزية بالدخول إلى ميناء وهران الذي أعيد احتلاله من طرف الاسبان عام 1732م، فعملوا على تزويد رياس الجزائر بالمعلومات التي ساعدتهم على شل النشاط الملاحي الفرنسي الاسباني، مما جلب ويلات وآثار خطيرة على العلاقات الجزائرية الفرنسية خاصة، وجعل الجزائر عرضة لمختلف ردود الفعل العدوانية الفرنسية بهذا الخصوص، في الوقت الذي عملت فيه انجلترا على تدعيم وتوفير الاسلحة والمعدات الانجليزية لها، وفي المقابل تمتعت بامتيازات اقتصادية وتجارية بمدينة وهران، وأمن أكثر لسفنها وتجارتها[37].

أما بحلول عام 1753م فوقعت حادثة بحرية خطيرة بين سفينة جزائرية وأخرى فرنسية، وذلك بالقرب من مضيق جبل طارق، حيث رفضت السفينة الفرنسية الانصياع لأمر التوقف من أجل التفتيش، كما هو منصوص عليه في بنود اتفاقية عام 1689م الموقعة بين البلدين، بل قامت السفينة الفرنسية بمبادرة السفينة الجزائرية بهجوم خاطف، وفتحت عليها نيرانها دون سابق انذار، واندلع بينهما اشتباك عنيف، غير أن الكفة في آخر المطاف مالت لصالح السفينة الجزائرية، واعتقل قبطان السفينة الفرنسية وبحارته، وصودرت السفينة مع شحنتها وتم اقتيادها إلى ميناء الجزائر، أين عُوقب ربانها بالسجن والجلد لأنه تسبب في قتل أحد عشر بحارا جزائريا، ولكنه لم يتحمل ذلك فمات[38].

ورافق تلك الأحداث سجن القنصل الفرنسي بالجزائر، وإلقاء القبض على بحارة أربع سفن فرنسية كانت في ميناء الجزائر، وكافة الرعايا الفرنسيين بالجزائر، وسلطت عليهم عقوبة الاشتغال بالأعمال الشاقة، وظلوا على هذه الحالة ستة وأربعين يوما. كما قام باي قسنطينة وبناءً على الأمر الصادر إليه من الداي، بحجز كافة المؤسسات التجارية الفرنسية،

ومصادرة سفن اصطياد المرجان، وبعد إطلاق سراح القنصل كتب تقريرا لحكومته، يذكر فيه سوء المعاملة التي تعرض إليها هو والرعايا الفرنسيون من طرف الجزائريين، وطالب بمعاقبة الجزائر والداي على ذلك الصنيع، وكاد يتجدد الصراع الحربي بين البلدين بهذه الحادثة[39].

غير أن الحكومة الفرنسية لم تستسغ الأمر، وحاولت الانتقام، أو بالأحرى طرحت خيارين لرد فعلها، لذلك عملت على استشارة عدد كبير من الدبلوماسيين والعسكريين الذين لهم معلومات استخباراتية بالجزائر، وأوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وطالبتهم بإعداد تقارير وافية حول المطلوب، فكان ردهم منقسمًا بين من يشجع ويتبنى خيار الحرب، ومن يفضل تجنبها ويتبنى الخيار الدبلوماسي السياسي، وهو التيار الذي انتصر في الأخير لأن المعلومات الاستخباراتية، التي جمعت حول قوة الجزائر ومدى جاهزيتها للدفاع عن نفسها، جعلت الحكومة الفرنسية تحجم عن محاربة الجزائر، لاسيما بعدما استدعت قنصلها بالجزائر للاستفادة من معلوماته حول البلاد في كل الميادين، كما تم استدعاء مهندس فرنسي من مدريد يعمل بالجيش الاسباني، كان قد أسر في السابق بالجزائر وأقام فيها لعدة سنوات، قصد الاستفادة من معرفته لمختلف التحصينات والمنشآت العسكرية الموجودة بالمدينة والمناطق القريبة منها، وحينها أيقنت من مصادرها الاستخباراتية أن خيار الدخول في حرب مع الجزائر غير مأمون العواقب في تلك الأثناء، عدلت على الفكرة ولجأت إلى الطرق الدبلوماسية لحل الخلاف وإيجاد مخرج مشرف لتلك الأزمة[40].

إلا أن الحكومة الفرنسية واصلت عملها التجسسي الاستخباراتي ضد الجزائر، وذلك بتوظيف كل الوسائل، والاساليب، والسبل، والأشخاص، ومنهم رجال الدين والكنيسة، الذين سبقت الاشارة إلى بعضهم، حيث استخدمتهم في مهام انسانية، أو دبلوماسية وقنصلية ظاهريا، ولكن باطنيا كانوا يمارسون مهام استخباراتية تجسسية، كالأب لوفاشي في القرن السابع عشر (1673م-1683م)، وكذلك كما هو الحال بالنسبة للأب تيودور قروزالLe Père Théodore Groiselle[41]، الذي اتهم من طرف الخزندار عام 1762م بتمرير معلومات ومواقف إلى الاعداء[42].

كما طلب منه في نفس العام أيضا أن يوافي حكومته بكل جديد حول الازمة الجزائرية المغربية، حيث تلقى في الثالث من شهر أفريل عام 1786م رسالة منها، تشكره فيها على حرصه في اخطارها بكل جديد حول التحضيرات، المعدة على مستوى القوات التي سوف تسير لمراقبة تحركات الملك المغربي[43].

ولقد استطاع هذا القنصل أيضا إفادة حكومته سرا بموقف الحكومة الجزائرية، حول مشكلة تاريخ تجديد معاهدة عام 1689م المئوية، التي كانت تصر على تجديدها في وقتها، وكذا سعي الانجليز إلى تحريض مختلف أعضاء الديوان على التمسك بذلك الاصرار، بينما عملت الحكومة الفرنسية على اعتبار تاريخ سريانها الحقيقي، قد بدء منذ التعديل الذي أدخل عليها عام 1719م، ولعب القنصل الفرنسي دو كارسي دورا بارزا في محاولة تحريض حكومته على التعنت في طرحها، واقتراح جملة من الحيل والألاعيب معتمدا على المعلومات، التي كان يحرص على جمعها والارتكاز عليها في بناء استراتيجية المراوغة التي اقترحها على حكومته، غير أن اصرار الحكومة الجزائرية على مواقفها المتصلبة حول ضرورة تجديد المعاهدة في وقتها، دفع الحكومة الفرنسية على إيثار الرضوخ إلى الارادة الجزائرية، حيث جددت معها المعاهدة المئوية في وقتها، أي في 29 مارس 1790م[44].

ورغم تواصل العلاقات الجزائرية الفرنسية السلمية في تلك المرحلة، والتي كانت تتسم بالتفاهم والتعاون، خاصة في عهد الداي محمد بن عثمان باشا[45] عن الطرف الجزائري والملك لويس السادس عشر Louis XVI[46] عن الطرف الفرنسي، غير أن النشاط الاستخباراتي كان متواصلا بين الدولتين وبدون انقطاع، حيث برز ذلك من خلال بعض القضايا، التي تعرضت لها مختلف تقارير القنصل الفرنسي جان باتيست ميشال دو كارسي Jean-Baptiste-Michel de Kercy[47] إلى

حكومته، حيث زودها عام 1786م بكل التفاصيل عن الاتصالات والمفاوضات الاسبانية الجزائرية، فلم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وتعرض لها، حتى تلقى في هذا الخصوص رسالة استحسان من طرف حكومة دولته، تضمنت العديد من عبارات الثناء على دقة ملاحظاته، ومهنيته العالية في ميدان الاستخبارات، حيث أُكد له فيها على ضرورة مواصلة نشاطه المعهود[48].

**الاستخبارات مع الاسبان:**

ولقد استمر الصراع بين الطرفين، إذ كان الاسبان يستغلون أي ظرف يشغل الجيش الجزائري في نزاع مع أي طرف في المنطقة، لكي يغيروا على المناطق المجاورة لوهران بغرض النهب والسبي، والتزود بكل ما هو ضروري لحياتهم في المدينة المحاصرة، وهذا ما أقدم عليه أيضا حاكم وهران دون ألفاريز دو بازار Don Alvarez De Bazar في مطلع عام 1701م، حيث قام بحملة على الارياف المجاورة لوهران فانتهت بشبه إبادة لها، وكان من بين قتلاه الحاكم نفسه[49].

وسرعان ما عاد الاسبان بعد مدة قصيرة لشن هجمات على المناطق المجاورة لوهران في عام 1703م، ولكن الجزائريين كانوا يراقبونهم عن كثب بفضل إستخباراتهم، التي كانت تترصد تحركاتهم وكانت لهم بالمرصاد، فتصدى لهم الباي مصطفى بوشلاغم[50]، الذي كان قد نقل عاصمة بايلك الغرب من مدينة مازونة البعيدة نسبيا عن مدينة وهران، إلى مدينة معسكر القريبة عام 1701م، كي يتسنى له مراقبة المدينة وتحركات الاسبان عن قرب، بفضل جواسيسه ورجال استخباراته، الذين استطاعوا إلى جانب تلك المهمة، القيام بمهام أخرى تتمثل في مراقبة من كان يتعامل مع الاسبان، ويتولى تقديم المعلومات لهم، وكذا الدعم بالمؤن والزاد، مما مكن الباي بوشلاغم من التدخل وقطع كل أوجه الاتصال مع الاسبان، أو التعامل معهم، وذلك للزيادة في تضييق الحصار عليهم واستنفاذ زادهم وأقواتهم[51].

ولقد شرع في فرض الحصار المباشر والمحكم على المدينة ابتداءً من عام 1704م، وتدعم ذلك الحصار بالمدد الذي أرسله الداي الجديد للجزائر محمد بكداش[52]، عام 1707م بقيادة صهره ووزيره حسن أوزان، مستجيبا لطلب الباي مصطفى بوشلاغم، مما زاد في فعالية الجيش الجزائري، الذي دك حصون المدينة الواحد بعد الأخر حتى تحريرها في 20 جانفي 1708م، وبعدها توجه إلى مدينة المرسى الكبير التي أتم تحريرها هي الاخرى في شهر أفريل من نفس العام[53].

ورغم هذا الانجاز الكبير إلا أنه لم يشفع للداي محمد بكداش، الذي تم اغتياله من طرف الجند عام 1710م، بسبب تأخره في دفع رواتبهم نتيجة فرار باي قسنطينة بضرائب البايلك (الدنوش) إلى تونس، وعجز الداي والخزينة الجزائرية عن أداء مستحقات الجند، بسبب تدني مداخيل الدولة خاصة من عوائد الغزو البحري، وكثرة مصاريفها في تجهيز الحملات العسكرية، وعين بدلا عنه الداي دالي ابراهيم، الذي لم يطل به المقام هو أيضا، إذ اغتيل في نفس العام، أي بعد حوالي خمسة أشهر من استلامه مقاليد الحكم في الجزائر، وذلك بسبب سيرته الفاسدة، ليخلفه الداي علي شاوش عام 1710م، حيث عم في عهده الأمن والاستقرار، وأقدم على منع الباشا الجديد (ابراهيم شركان)، الذي عينه السلطان العثماني على الجزائر من النزول إلى المدينة عام 1711م وطرده، بسبب تآمر سابقيه على الدايات في الجزائر، وبعث إلى السلطان يسترضيه ويوضح له الأمر، فقبل منه ذلك وأرسل له بالتعيين في الباشوية، ومنذ ذلك التاريخ جمع حكام الجزائر بين المنصبين (الداي والباشا)، وبذلك دخلت الجزائر

عهدا جديدا في تاريخها، ومرحلة من المراحل الحاسمة في مسيرتها، ولاسيما مسيرة استخباراتها التي كانت مواكبة لأغلب ما يحدث فيها أو حولها[54].

وبالعودة إلى الاسبان في تلك الفترة فإن النشاط الاستخباراتي معهم استمر على اشده وبدون هوادة، وذلك لاستمرار احتلالهم لمدينة وهران والمرسى الكبير، ولتأمرهم المستمر ضد الجزائر خاصة مع الفرنسيين، يسجل في ذلك الاطار ظهور محاولات جادة من طرف ملكهم شارل الثالث[55]، لاستعادة أمجاد بلاده ومكانتها الدولية، بحيث شرع في جمع قواته وتحضيرها في عدة موانئ إسبانية، للقيام بحملة عسكرية كانت سرية وغير واضحة الوجهة لعدة أشهر قبل موعد انطلاقها، وقد حرص على إعدادها بشكل جيد وتام كي تحقق أهدافها، والتي كانت في الحقيقة تتمثل في ضرب مدينة الجزائر واحتلالها[56].

غير أن الاستخبارات الجزائرية كانت قد استطاعت رصد تلك الاستعدادات، كما علمت وجهتها بالضبط، لذلك شرع الداي محمد عثمان باشا، في اتخاذ الاجراءات والتدابير الحربية الكفيلة بصدها، من تعبئة بشرية باستنفار كل بايات البايلك، وتعبئة مادية بتدعيم التحصينات وتكثيف عدد المدافع سواء من جهة البحر، أو من الناحية الشرقية والغربية للمدينة، كما رخص للأجانب المقيمين في المدينة بمغادرتها إذا رغبوا في ذلك، وبدأت التعزيزات العسكرية تفد إلى المدينة من كل جهات البلاد، وبمنتصف شهر جوان عام 1775م كانت القوات الجزائرية على أهبة الاستعداد، أو أقرب من أجل التصدي للحملة[57]، وقد كان الداي يشرف على تلك التحضيرات والاستعدادات بنفسه[58].

تلك الحملة التي كانت أخبارها تصل بانتظام إلى حكام الجزائر من خلال تقارير جواسيسهم في اسبانيا، أو غيرها من الدول الأوروبية، وحتى من الدول المجاورة كالمغرب الأقصى، الذي كان سلطانه آنذاك محمد بن عبد الله[59] تربطه علاقات دبلوماسية متقدمة مع معظم الدول أوروبية، وخاصة إسبانيا التي سعت في الكثير من المرات إلى طلب وساطته بينها وبين الجزائر في قضايا تحرير الأسرى وتبادلهم[60].

لقد مكنت المعلومات الاستخباراتية على اختلاف مصادرها، الجزائر من اتخاذ الخطة الدفاعية الانسب للتصدي إلى الحملة الاسبانية التي وصلت إلى السواحل الجزائرية في الفاتح من شهر جويلية عام 1775م، بقيادة الكونت أوريلي Le Comte O'Reilly[61]، بعد استكمالها لتحضيراتها وتعزيزاتها، فوجدت كل المواقع والمراكز على السواحل المحاذية لمدينة الجزائر محصنة ومعززة بالقوات الجزائرية المناسبة[62]، مما أربك القوات الاسبانية وقيادتها، التي بقيت مترددة في تحديد مكان نزولها لمدة أسبوع، ليتخذ في الأخير القرار وعلى عجل بالإنزال في الساحل الشرقي للمدينة، بالقرب من مصب واد الحراش، وبنفس المكان تقريبا الذي تم فيه إنزال القوات الاسبانية في حملة شارل الخامس عام 1541م، وذلك رغم ما كان يمثله المكان من مخاطر على كل من ينزل به من غزاة، وما الفشل الذريع الذي منيت به حملة الامبراطور شارل الخامس في السابق بنفس المكان، إلا دليل واضح وجلي يدعم ذلك الطرح، أما إقدام المجلس الحربي بقيادة الكونت أوريلي على اتخاذ ذلك القرار رغم كل تلك المعطيات، فيدل على ضعف التقارير الاستخباراتية الاسبانية عن الاستعدادات الجزائرية، وعن معرفة ضئيلة بالميدان، وكذلك عن الغرور الزائد للاسبان بقوتهم، وثقتهم بأنفسهم المبالغ فيها نتيجة كثرة العدد والعدة التي كانوا يتمتعون بها[63].

إن ما سبقت الاشارة إليه جعل الحملة، أو بالأحرى من نزل منها على الشاطئ الجزائري يتعرض إلى هجوم مركز من القوات الجزائرية، التي لم تترك لهم المجال حتى لاسترجاع الأنفاس، ولم يصمد الجيش الاسباني أمام الضربات الموجعة للجيش الجزائري تحت قيادة الداي محمد عثمان، الذي شجع الجنود على القتال معنويا وماديا، بحيث حثهم على الجهاد في سبيل الله ضد الاسبان المعتدين على حرمة الوطن والدين، ووعدهم بالمكافآت الكبيرة على كل إسباني يتم قتله في المعركة، مما كان له أبلغ الاثر والتحفيز، فاندفعت القوات الجزائرية بأعداد هائلة ضد الاسبان، الذين وقعوا في الشراك المحكمة التي أعدت لهم على الساحل وكانت مقابر للعديد منهم، وفي نهاية نفس اليوم تم إعطاء الامر للقوات الاسبانية بالانسحاب، إلى سفن الاسطول والعودة من حيث أتت بعد هزيمتها، وتكبدها خسائر جسيمة في العدد والعدة[64].

بعدها استمر الصراع والتنافس الجزائري الاسباني خاصة في الميدان الاستخباراتي، وذلك رغم محاولة الاسبان تحسين العلاقات مع الجزائر وعقد معاهدة صداقة معها، عن طريق بعض الاطراف الدولية التي سعت للتوسط بين الطرفين ومنهم فرنسا، وذلك في مطلع العقد التاسع من القرن الثامن عشر، غير أنها اصطدمت برفض جزائري تام وحازم للفكرة طالما بقي الاسبان في وهران والمرسى الكبير[65].

وكذلك لعلمهم بالنوايا الخفية للإسبان، وكذا حقدهم وكرههم للجزائر آنذاك، بحيث استطاعت الاستخبارات الجزائرية الاطلاع على معلومات هامة عن التحركات والمؤامرات، التي كانت اسبانيا تحيكها في الخفاء ضد الجزائر، وذلك في نفس الوقت الذي كانت تحاول التفاوض والتفاهم معها، وفي هذا الاطار أُخطر الداي محمد عثمان بالاتصالات والمفاوضات التي كانت قائمة عام 1780م، بين اسبانيا من جهة وممالك جنوة، نابولي، مالطا، ليفورن من جهة أخرى، من أجل إقحامهم في تشكيل تحالف صليبي ضد الجزائر، مما جعله يشرع في الاستعداد من أجل التصدي إلى أي طارئ أو هجوم خارجي، فشجع صناعة السفن والزوارق الصغيرة السريعة، وأشرف على ذلك بنفسه، وذلك وسط مجاعة خطيرة أصابت البلاد وأرهقت العباد، نتيجة الظروف الطبيعية وموجات الجراد الطيار الذي زحف على البلاد وأتى على كل المحاصيل[66].

كما سعت إسبانيا بعد ذلك إلى فتح طريق آخر من أجل التقرب من الجزائر وعقد صلح معها، وذلك من خلال التقرب إلى الدولة العثمانية وعقد اتفاقية معها، وهو الامر الذي وفقت في الظفر به بعد اتفاق عام 1581م، ومن خلاله حاولت الحصول على وساطة عثمانية لتحقيق مآربها مع الجزائر، غير أن الداي محمد عثمان رفض الموضوع من جديد، وأصر على عداء الاسبان الذين كانت تصله تقارير استخباراته عن استعداداتهم المتواصلة، وتجهيزهم لأسطول بحري كبير وجهته الجزائر، فاستعد للتصدي لهم بكل شجاعة واقتدار، فواصل تدعيم التحصينات وتقوية الأبراج والقلاع، وبناء الاسطول وتجهيزه، والذي رغم الخطر المحدق بالجزائر فإنه لم يقصر في دعمه ومؤازرته للأسطول العثماني في معاركه، بالحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط عن طريق توجيه عدد كبير من سفن الاسطول الجزائري إلى هناك[67].

وللتأكيد على ذلك فقد وصلت الداي في شهر ماي عام 1783م، معلومات استخباراتية من سلطان المغرب محمد بن عبد الله، تدعم ما وصله من معلومات عن طريق جواسيسه حول التحضيرات الاسبانية، وتفيد بتجمع الاسطول الاسباني في مدينة قرطاجنة الاسبانية استعدادا للزحف على الجزائر، مستغلا انشغال عدد كبير

من قطع الاسطول الجزائري في مقارعة عدة اساطيل أوروبية، مع الاسطول العثماني. غير أن الداي وبفضل حنكته وتجربته استطاع الثبات واتخاذ الاجراءات الواجبة في الوقت المناسب، وذلك لكونه أساسا لم يتوقف يوما عن السعي إلى ذلك، مما فوت الفرصة على الاسبان من جديد[68].

لقد تم التصدي للحملة الاسبانية على مدينة الجزائر في شهر أوت عام 1783م، والتي قادها دون أنطونيو Don Antonio، القائد الاسباني المشهور، الذي كلف بهذه المهمة الحساسة، بقصد محو عار وهزيمة سابقه الكونت أوريلي، والانتقام من الجزائر وإجبارها على الرضوخ للمطالب الاسبانية، غير أن القوات الجزائرية تصدت لها بكل قوة وثبات، كما استطاعت التكيف في مواجهة مراكب اللنجور[69]، التي استعملها الاسبان لأول مرة في هجومهم على مدينة الجزائر، حيث مكنتهم في الايام الاولى للحملة من الاقتراب أكثر، وضربها بكل أمان، مع الإفلات من نيران مدفعيتها، وذلك لصغرها وخفة مناوراتها وسرعتها، غير أن الداي استطاع قبل الحملة استحداث زوارق سريعة تمكن بفضلها من التصدي لها. وأجبر الاسبان على الانسحاب دون تحقيق أي انتصار يذكر، بتلك القوة الضاربة التي جردوها لضرب الجزائر وتركيعها، غير أنهم فشلوا وتراجعوا نحو بلادهم والخيبة تتبعهم[70].

إن الهزيمة الكبيرة التي مني بها الاسبان في حملتهم على مدينة الجزائر عام 1775م أعطتهم درسا، وغرست في أنفسهم فكرة استحالة دخولهم إليها منتصرين، وجعلتهم يتجنبون حتى الخوض في مغامرة الاقتراب من سواحلها في حملة عام 1783م، مكتفين بهجمات محدودة النطاق لسفن اللنجور السابقة الذكر، وذلك لإدراكهم خطورة اقترابهم من مينائها، بعد اتصالهم بمعلومات استخباراتية عن التحضيرات والحشود التي جمعها الداي محمد عثمان لمواجهتهم، بعد استنفاره للمتطوعين من القبائل الجزائرية، وقوات البيالك الثلاثة[71].

وبعد انسحاب الحملة الاسبانية شرع حكام الجزائر، وسكان المدينة في ترميم ما تم اصابته أو تدميره نتيجة القصف العشوائي الذي تعرضت له، كما تواصل النشاط الاستخباراتي المركز على الاسبان، وذلك لمعرفة وقع الهزيمة عليهم، وكذا للوقوف عند نواياهم ومخططاتهم المستقبلية ضد الجزائر، ليتم اتخاذ الخطوات المناسبة، والإجراءات الواجبة قصد افشال أي مشروع عدواني من طرفهم ضد الجزائر. وفي هذا الإطار وصلت معلومات لحكام الجزائر عن وجود بقايا سفينة لنجور إسبانية أصيبت أثناء المعركة على شواطئ الجزائر، فأرسل إليها أحد معلمي صناعة السفن، الذي رممها واستطاع تقليد تقنية صناعتها، فاكتسبت الجزائر بعد ذلك تجربة متقدمة في صنع هذا النوع من السفن، الذي سوف تعتمد عليه في حروبها اللاحقة ولاسيما ضد الاسبان[72].

كما استطاعت الاستخبارات الجزائرية إطلاع الداي على كل التطورات، التي كانت تحدث في اسبانيا بشكل دوري ودون انقطاع، بحيث أنه في إحدى المرات سأله الخزناجي إن كان قد وصلته بعض الاخبار السرية، فرد عليه الداي أن الخبر يأتيه عن الرجل إذا تقلب في فراشه، فكيف بذلك الخبر[73]، وما ذلك إلا دليل على الاهتمام البالغ الذي يوليه الداي لكل كبيرة وصغيرة، كما يدل أيضا على اهتمام اطارات الدولة بالنشاط الاستخباراتي، وحرصهم على تبليغه إلى الداي[74].

وفي ذلك الإطار يدخل علمه بخروج الحملة الاسبانية لعام 1784م من ميناء قرطاجنة الاسباني في الثامن والعشرين من شهر جوان، تحت قيادة دون أنطونيو للمرة الثانية، حيث سارع لاتخاذ الاجراءات الضرورية مع القبطان الحاج محمد، الذي مكنه الوقت لتحضير وتجهيز اللنجورات الجزائرية التي تم صنعها، بحيث كانت

عملية مع وصول الحملة الاسبانية في التاسع من شهر جويلية، ووقفت ضمن قطع الاسطول الجزائري الذي منع الاسطول الاسباني من محاولة التقدم والاقتراب من المدينة لضربها[75].

لقد كانت دهشة الاسبان كبيرة حين عرفوا أن الاسطول الجزائري قد امتلك مجموعة كبيرة من سفن اللنجور، التي كانت تشكل مصدر التفوق الوحيد في حملة 1783م، وكانت القوة الاسبانية الضاربة التي تمكنت من التقدم والاقتراب من المدينة، وأحدثت بها خسائر معتبرة، إلا أن الحال كان على غير ذلك في هذه الحملة، إذ وقف الاسطول الجزائري في مواجهة الاسطول الاسباني، ومنع لنجوراته من الاقتراب، وخاض ضده معركة متكافئة لعدة أيام انتهت بانسحاب الاسبان منهزمين في الثالث والعشرين من نفس الشهر[76].

إن عدم علم الاسبان باكتساب الاسطول الجزائري لسفن اللنجور، راجع إما لفشل الاستخبارات الاسبانية في حصولها على المعلومات حول الموضوع، أو إلى شدة تكتم الجزائر في تحضيراتها التي على ما يبدو كانت سرية وسريعة، بحيث في ظرف سنة واحدة استطاعت إنجاز وتجهيز أعداد كبيرة منها، وبنفس المواصفات والتقنيات التي كانت عليها اللنجورات الاسبانية، ووقفت الند لها في معركة متكافئة استطاعت خلالها حماية مدينة الجزائر، وحصر المعركة في البحر فقط.

وعلى اثر ذلك الاخفاق المتتالي أمام مدينة الجزائر جنح الاسبان أكثر من أي وقت إلى طلب السلم والاتفاق مع الجزائر، ولذلك قبلت الجزائر العرض عام 1785م بعد توسط عدة أطراف من أجل ذلك، والتي منها فرنسا التي بذل قنصلها جهودا مضنية في سبيل تحقيق التقدم في المفاوضات، لاعتقاده أن ذلك يخدم بلاده، إذ قام بتتبع خطوات المبعوث الاسباني، وسانده بكل عزم ونشاط حتى أن ترتيبات المعاهدة التي أبرمت بين الجزائر وإسبانيا في 16 جوان 1785م، تكاد تكون ترجمة حرفية للمعاهدة الفرنسية الجزائرية[77]، والتي تم تبادل التوقيع عليها بين الطرفين الجزائري والاسباني يوم 14 جوان عام 1786م[78]. والتي تنص على الجلاء الاسباني مقابل تحقيق امتيازات تجارية في وهران.

وقد تواصل النشاط الاستخباراتي للجزائر على الاسبان، وذلك رغم الاتفاق الذي تم بينهم من أجل الجلاء على مدينة وهران والمرسى الكبير إثر هذه المعاهدة، كما تواصل الحصار والتضييق على مدينة وهران منذ عام 1775م، وشهد مطلع التسعينات من القرن الثامن عشر عدة حملات من طرف باي الغرب الجزائري على المدينة، أفضت في الاخير إلى عقد معاهدة 12 سبتمبر 1791م، وخروج القوات الاسبانية منها ومن المرسى الكبير، بعد عجزها عن تحمل الاصرار الجزائري على تحريرها، حيث بدأ انسحاب الاسبان منها في السابع عشر ديسمبر عام 1791م ليتواصل إلى غاية الثاني والعشرين من شهر فبراير 1792م، حيث دخلها باي الغرب محمد بن عثمان الكبير دخول الفاتحين، وعمت الفرحة في جميع أرض الجزائر وفي العالم الاسلامي آنذاك[79].

وفي خضم ذلك الجلاء الاسباني عن مدينة وهران والمرسى الكبير، كان من بين ما أقدم الباي عليه هو استشارة العلماء في كيفية التعامل مع المغاطيس[80]، الذين كانوا بمدينة وهران يعملون لصالح الاسبان، فأشاروا عليه بتأمينهم، فبعث إليهم كتابا يأمرهم فيه بالقدوم إليه آمنين، فطلبوا منه إرسال ذلك الآمان مع المرابطين لتطمئن النفوس، فبعث إليهم بقاضي البلاد، وخطيب المسجد الأكبر، فقدم معهم نحو الاربعين منهم، والباقون

وعدوا بالقدوم بعد ضبط أمورهم وبيع أثاثهم، ومنهم من كان ينتظر ما ستؤول إليه الامور بعد ذلك، ومنهم من آثر العيش مع الاسبان لأنه جُبِل على الخيانة والعمالة للعدو[81].

**العمل الاستخباراتي مع باقي الدول الاوروبية:**

– **الاستخبارات مع روسيا:** لقد سجل بالمنطقة أيضا في تلك الاثناء تحركات استخباراتية لروسيا، التي سعت إلى التجسس على الجزائر خاصة في عهد الامبراطورة كاترين الثانية[82]، حيث تولى تلك المهمة أحد ضباط البحرية الروسية المدعو ماتفي قريقوريفيتش كوكوستوف Matvei Grigoriévitch Kokostov، الذي عمل من عام 1765م إلى عام 1768م ضمن البحرية المالطية، ثم تنقل بعد ذلك بين اسبانيا وتوسكانيا، غير أن مهامه التجسسية التي كلف بها في بلاد المغرب كانت في عامي 1776م، و1777م، حين سافر في أول الامر إلى تونس أين وجد كل الدعم من القنصل الانجليزي، الذي كانت بلاده تدعم الامبراطورية الروسية ضد الدولة العثمانية في خلافهما آنذاك، أما رحلته الثانية فكانت إلى مدينة عنابة الجزائرية، على متن السفينة الفرنسية المارتنقال Le Martingal، في زي مساعد قائد السفينة من جنسية فرنسية، مما وفر له حماية خاصة وقلل من المخاطر التي تترصده، حيث كانت له الفرصة لمعرفة كل ما يحتاج إليه[83].

لقد هدفت روسيا وعلى رأسها الامبراطورة كاترين الثانية آنذاك، من وراء تجسسها على بلاد المغرب، إلى معرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات على تونس والجزائر، وذلك من أجل استغلالها في العمل على محاولة فصلهما عن الدولة العثمانية في صراعها معها، لذلك فقد حاولت عام 1777م إقامة اتصالات ومفاوضات معهما، بغية عقد اتفاقيات سلام مع الايالتين، وأرسلت في ذلك الإطار مبعوثيها إلى الجزائر في نفس السنة، غير أن مساعيهم باءت بالفشل، مما انجر عنه ردود فعل انتقامية للبحرية الروسية ضد الموانئ والسفن الجزائرية[84].

– **الاستخبارات مع الدانمارك:** عرفت تلك المرحلة أيضا صراعا جزائريا دانماركيا[85]، تمثل في محاولة أسطول تلك الدولة الكونت الأميرال وي كاعس le contre-amiral comte de Kaäs، شن حملة عسكرية على مدينة الجزائر في الفاتح من شهر جويلية عام 1770م[86]، وذلك بتحريض من قنصل بلادهم بالجزائر، الذي يكون لا ريب قد أعطاهم معلومات استخباراتية غير صحيحة عن قوة الجزائر، حيث لم تتمكن هذه الحملة من تحقيق أي نتيجة تذكر، ما عدا حالة السخرية والاستهزاء الذي تعرضت له بعد قنبلتها للبحر، وعدم وصول قذائفها للمدينة نتيجة وقوفها على بعد كبير في البحر لتجنب مرمى مدافع أبراج المدينة، مما دفع بالداي إلى التصريح بأن الدانماركيين قدموا إلى الجزائر من أجل محاربة الاسماك. أما الجزائريون فبدل الرد قاموا بإحضار عازفي الموسيقى إلى الميناء من أجل الاستهزاء بالدانماركيين، الذين انسحبوا في آخر الأمر بحجة اضطراب البحر[87].

ورغم الهزيمة التي لحقت بهم فإنهم جهزوا حملة ثانية على الجزائر عام 1771م، تحت قيادة الأميرال هوغلاند Hoogland، والذي مني هو الأخر بهزيمة كسابقه، واضطرت الدنمارك إلى عقد معاهدة جديدة مع الجزائر عام 1772م[88]، دفعت من خلالها أموال باهظة وتجهيزات عسكرية كثيرة[89].

**الخاتمة**

ومن خلال ما تم التعرض إليه في هذا القرن، يمكن القول أن الاستخبارات الجزائرية في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر، قد لعبت دورا هاما في رسم سياسة الدولة، إذ أصبحت تشكل نشاطا لا يمكن اغفاله أو التفريط فيه، وذلك بسبب تعقد العلاقات الدولية وتشعبها، وبروز معطيات ومتغيرات سياسية وعسكرية جديدة طبعت تلك المرحلة من التاريخ.

كما كانت الاستخبارات الجزائرية رائدة في نشاطها ونتائجها، إذ مكنت الدولة الجزائرية آنذاك من التصدي إلى مجموعة كبيرة من الدسائس والمؤامرات الأوروبية، سواء الفرنسية أو الاسبانية أو الأمم الاوروبية الأخرى، خاصة بعد الاحلاف والتعاون الذي ظهر بينها في تلك الاثناء ضد كل ما هو إسلامي، لاسيما مع نهاية عهد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر وحفيده لويس الخامس عشر.

ولقد سجل في تلك المرحلة أيضا نشاط استخباراتي كبير في الاتجاه الأفقي، أي بين الجزائر ودول بلاد المغرب وخاصة مع تونس، التي لعبت الجزائر دورًا كبيرًا في تطور الاحداث بها طوال تلك الفترة، وكذلك مع المغرب الأقصى ولكن بوتيرة أقل من المرحلة السابقة بسبب الانشغال بالصراعات الداخلية. أما مع الدولة العثمانية فإن الامور أصبحت أكثر وضوحًا وطبعها في الكثير من المرات التعاون، الذي تخلله بعض الازمات التي كثيرا ما تجد الحل مثل التي حدثت مع الباي كور عبدي، والتي سوف يتم التعرض لها في عمل قادم.

لذلك فإن الاستخبارات الجزائرية في تلك المرحلة قد عرفت نشاطا كبيرا، وكانت في الكثير من الاحيان مطالبة بتقديم معلومات مضبوطة ودقيقة عن مجموعة من الدول، في نفس الوقت وبأسرع الطرق، قصد كشف مشاريعها ومخططاتها وتحالفاتها ضد الجزائر، وهذا بقصد اتخاذ الاجراءات السياسية أو العسكرية المناسبة التي تقي البلاد من كل مكروه، مثل ما حدث أمام التحالف الاسباني الأوروبي المسيحي الذي تم ذكره سابقا.

## الهوامش:

1 – عبد الكريم شوقي: **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 897هـ – 1246هـ / 1492م – 1830م**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2017، ص 189.

2 - **لويس الرابع عشر** Louis XIV (1638م-1715م): ملك فرنسي ولد عام 1638م، وحَكَم فرنسا منذ 14ماي 1643م، أي في سن الخامسة إلى غاية 1715م، لكنه لم يكن يحمل السيطرة الفعلية حتى توفي رئيس الوزراء الكاردينال مازارين في 1661. بقي على العرش حتى وفاته، كان يلقب بالملك الشمس وذلك لاهتمامه ورعايته للأدب والفن. كما قام ببناء قصر فرساي، وهو صاحب ثاني أطول فترة حكم عرفت منذ القدم، استمرت اثنتين وسبعين سنة وثلاثة أشهر. أنظر المزيد في:

- عبد العزيز سليمان نور، محمود محمد جمال الدين: **التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مصر، 1999م، ص 174 وما يليها.

3 - الداي علي شاوش (1710م – 1718م)، يعد من أشهر دايات الجزائر، وصل إلى الحكم بعد اغتيال الجند لسابقه الداي دالي ابراهيم، تميز بالسيرة الحسنة الاخلاق العالية، عم في عهده الأمن والاستقرار، منع الباشا الجديد (ابراهيم شركان)، الذي عينه السلطان العثماني من النزول إلى مدينة الجزائر عام 1711م وطرده، بسبب تأمر سابقيه على الدايات في الجزائر، وبعث إلى السلطان يسترضيه ويوضح له الأمر، فقبل منه ذلك وأرسل له بالتعيين في الباشوية، ومنذ ذلك التاريخ جمع حكام الجزائر بين المنصبين (الداي والباشا)، وقد تصدى علي شاوش إلى محاولات التمرد أو الاغتيال، غير أنه توفي مريضا عام 1718م. أنظر:

- عمار بن خروف: **علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1082– 1246هـ/ 1671 – 1830م**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، دمشق، 1995-1996، ص 174.

4 - Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833,** Recueillie Dans les dépôts d'archives des affaires étrangères, De la marine, des colonies Et de la chambre de commerce de Marseille, tome second (1700-1833), PARIS, 1889, pp 72 – 73.

5 - Moulay belhamissi: **Alger , l'europe et la guerre secrete (1518 – 1830),** editions dahlab, Alger, 1999, p 151.

6 – **Ibid :** p 151.

7 - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 95.

8 - Henri Garrot: **Histoire General de l'Algere, livre xi, periode turque,** imp, p.crescenzo, Alger, 1910, p 563.

أنظر أيضا: - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص 95.

9 - دوكين قائد الحملتين الفرنسيتين على مدينة الجزائر عامي 1682م، و1683م. أنظر المزيد في:

- جمال قنان: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 85. وأنظر أيضا

- H.-D.De Grammont : **Relations entre La France & La Régence D'Alger Au XVIIe Siècle,** Quatrième Partie, Les Consuls Lazaristes Et Le Chevalier D'Arvieux (1646-1688), Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1879**:** p 263.

10 - **Ibid** : p 563 564.

11 **لويس الخامس عشر** (من أول سبتمبر 1715م إلى 10 ماي 1774م): ملك فرنسا تولى الحكم بعد جده الملك لويس الرابع عشر، ولد في 10 فبراير 1710م باسم لويس دوق دانجو Louis, duc d'Anjou، وهو الابن الثاني للدوق "لوي دافو"، تمتع بسمعة طيبة في بداية فترة حكمه لفرنسا، وبالرغم من هذا فان سياسته الخاصة بالإصلاح في النظام الملكي الفرنسي وسياسته الخارجية على الساحة الأوروبية، أفقدتاه دعما شعبيا وجعلته أحد أقل الملوك شعبية في فرنسا، تزوج من ماري ليزينسكا ابنة ملك بولندا وأنجب منها عشرة أولاد. خاضت فرنسا في عهده حرب وراثة العرش النمساوي (1740م – 1748م) إلى جانب بروسيا ضد النمسا وانجلترا وهولندا، وكان من نتائجها احتلال فرنسا لـ "هولندا النمساوية" (بلجيكا الحالية)، كما توسعت حدود فرنسا لتتخطى نهر الراين وزاد نفوذها في أوروبا. توفي الملك لويس الخامس عشر في قصر فرساي قرب باريس متأثرا بمرض الجدري، الذي أصابه في 10 ماي 1774م، خلفه حفيده لويس السادس عشر الذي شهد عهده الثورة الفرنسية. أنظر:

- عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في التاريخ الاوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1992م، ص 278 وما يليها.

12 - H.-D.DE GRAMMONT : **HISTOIRE D'ALGER SOUS LA DOMINATION TURQUE (1515-1830)**, ERNEST LEROUX, EDITEUR, PARIS,1887, P 280.

- Henri Garrot: **Op.cit :** p 564.

13 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 175 - 177.

14 - مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، الجزائر، 2007، ص 85.

15 - ميناء إسباني يقع في الجنوب الشرقي من جزيرة مينورقة في السواحل الشرقية لإسبانيا، بقي تحت السيطرة الانجليزية من 1713م إلى غاية عام 1782م.

16 - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص 96 - 97.

17 - Henri Garrot: **Op.cit :** p 565.

أنظر أيضا: - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص 96 - 97.

18 - الداي كور عبدي: داي الجزائر الخامس عشر في ترتيب الدايات، حكم الجزائر من عام 1724م خلفا للداي محمد بن الحسن الذي قتل، واستمر حكمه إلى غاية عام 1732م، تاريخ وفاته.أنظر: عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 472 وما يليها.

19 - عزيز سامح التير: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا شمالية**، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989، ص 474 - 475.

20 – Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 133.

21 – **Ibid :** p 133 - 134.

22 - الداي إبراهيم: داي الجزائر السادس عشر في ترتيب الدايات، حكم الجزائر من عام 1732م خلفا للداي كور عبدي الذي توفي، واستمر حكمه إلى غاية عام 1745م، حيث استقال من منصبه بسبب مرضه، ومات بعد زمن قصير في نفس العام. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 472 وما يليها.

23 - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص 97-98.

24 بينوا لومير نائب قنصل فرنسا سابقا بمدينة القاهرة في مصر، ومدينة الاسكندرية، كما شغل منصب قنصل فرنسا بمدينة كاني بجزيرة كريت اليونانية، ومدينة صيدا، ومدينة طرابس. أنظر:

Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), p 161.

25 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 484 - 485.

26 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 293.

27 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 484 - 485.

28 - Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), pp 73 – 75.

- يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص 98.

29 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 485.

30 - **نفسه:** ص 489.

- يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق،** ص 98.

31 - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق،** ص 98.

32 - الداي إبراهيم الصغير أو إبراهيم كوجوك، هو الداي السابع عشر للجزائر، تولى الدايلكية والباشوية بعد تزكينه من طرف عمه الداي بابا ابراهيم عام 1745م، وكان قبل ذلك يشغل منصب خازن الداي، كانت له علاقات حسنة بالدول الأوروبية، ودخل في صارع محتدم مع طائفة الكراغلة، ويحتمل أنه مات مسموما عام 1748م. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق،** ص 495 وما يليها.

33 - Henri Garrot: **Op.cit :** p 571 - 572.

- عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق،** ص 494.

34 – Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 136.

35 أندري ألكسندر لومير André-Alexandre Lemaire، مستشار فرنسي سابق في مدينة الإسكندرية بمصر، وفي قبرص، كما شغل منصب قنصل فرنسا بمدينة صيدا، وقنصل بالجزائر من 1749م إلى غاية عام 1756م. أنظر:

- Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), p 206.

36 - **Ibid :** pp 207.

37 – Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 163.

38 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا،** المرجع السابق، ص 186. وأنظر أيضا:

- Henri Garrot: **Op.cit :** p 572 - 573.

39 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق،** ص 521.

40 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا،** المرجع السابق، ص ص 186 - 189.

41 - تيودور قروزال Le Père Théodore Groiselle، رجل دين مسيحي برتبة نائب رسولي بالجزائر، كلفه القنصل الفرنسي جوزاف بارتولومي بيرو Joseph-Barthélemy Perou (1757م- 1760م) بتسيير أمور القنصلية الفرنسية بالجزائر من 1760م إلى 1763م، أي إلى غاية تعيين قنصل فرنسي جديد هو جان أنتوان فاليري Jean-Antoine Vallière، عام 1663م. أنظر:

- Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), p 252.

42 - Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 29.

43 – **Ibid :** p 88.

44 – Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), pp 380 - 398.

45 - محمد بن عثمان باشا: داي الجزائر (1766م – 1791م) يعد الداي العشرون في ترتيب دايات الجزائر، وهو من أعظمهم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عمل على تقوية الأسطول الجزائري حتى أعاد له الكثير من أمجاده، حيث استطاع أن يصبح قوة ضاربة في البحر المتوسط من جديد، تمكن من صد ثلاث حملات إسبانية على مدينة الجزائر، وحاصرهم في مدينة وهران حصارا شديدا بما في ذلك قطع الماء عنهم، ومنع السكان من التعامل معهم، وقتل من يفعل ذلك منهم، وأرسل السفن الحربية الجزائرية لاعتراض كل محاولة تموين اسبانية لها، رغم كونه الداي الجزائري الذي عقد أول معاهدة صلح مع اسبانيا عام 1786م، توفي عام 1791م نتيجة مرض ألم به بعد أن حطم رقما قياسيا في مدة الحكم التي تجاوزت الخمسة والعشرين سنة. أنظر:

- أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1766-1791: سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

46 - لويس السادس عشر Louis XVI: ولد في 23 أوت 1754م، وأعدم في 21 جانفي 1793م، هو لوي أوگوست دي فرانس Louis-Auguste de France، حكم كملك لفرنسا ونافار من 10 ماي 1774م بعد موت جده لويس الخامس عشر حتى عام 1791م، حيث أصبح يحمل لقب ملك الفرنسيين إلى غاية شهر أوت عام 1792م، تاريخ ايقافه واعتقاله إثر عصيان العاشر من شهر أوت، وقد حاكمه المؤتمر الوطني الفرنسي، الذي قضى بإذنابه بتهمة الخيانة، وأُعدِم في 21 جانفي 1793م رفقة زوجته ماري أنطونيت النمساوية التي تزوجها عام 1770م، وكان أول ملك فرنسي يتم إعدامه. أنظر:

- عمر عبد العزيز عمر: **المرجع السابق**، ص 288 وما يليها.

47 - جان باتيست ميشال قيوت دو كارسي Jean-Baptiste-Michel Guyot de Kercy، نائب قنصل سابق بمصر (مدينة رشيد ودمياط)، قنصل سابق بمدينة كاني في جزيرة كريت، وقنصل عام في مدينة موري، عين قنصلا عاما بمدينة الجزائر في 02 سبتمبر 1781م، ولم يصلها إلا يوم 15 سبتمبر 1782م، واستمر في شغل منصبه حتى عام 1791م. أنظر:

- Eugène Plantet, **Op.cit**, tome second (1700-1833), p 375.

48 – Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 142.

49 – Henri-Léon FEY: **Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnol**, Typographie Adolphe Perrier, Editeur, Oran, 1858, p 115 - 116.

50 - مصطفى بن يوسف المدعو بوشلاغم، باي بايلك الغرب (1686م – 1733م)، ضمن إيالة الجزائر في العهد العثماني، خلف الباي شعبان الزناقي بعد استشهاده عام 1686م، عند أسوار مدينة وهران بينما كان محاصرا لها، لذلك صمم الباي مصطفى بوشلاغم منذ توليه قيادة البايلك على تحريرها، وقام كإجراء أولي بنقل عاصمة البايلك من مازونة إلى معسكر، بهدف تقريبها من وهران كي يسهل عليه مراقبتها ومحاصرتها في الوقت المناسب، ثم استرجع وهران والمرسى الكبير في عام 1708م، ونقل عاصمة البايلك إليها حتى سقوطها من جديد في يد الاسبان عام 1732م، فنقل عاصمته إلى مستغانم التي مات فيها عام 1733م. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 442 - 443.

51 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 458.

52 - محمد باكداش: أو باكطاش أو باكتاش كلمة تركية ومعناها الحجر الصلب، أطلقه عليه والده، قدم الجزائر واستقر في البداية بمدينة عنابة (بونة)، ولزم الشيخ قاسم بن الساسي البوني وهو من سماه محمد، أصبح دايا على الجزائر (1707م – 1710م)، بعد قيامه بانقلاب على سابقه حسن خوجة، من أكبر إنجازاته التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير سنة 1708م، مات مقتولا على يد الداي دالي إبراهيم. أنظر:

- محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، وزارة الثقافة الجزائرية، تحقيق وتقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص 112.

53 – Ernest Mercier : **Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française (1830)**, Ernest Leroux Éditeur, tome troisième, Paris, 1868, p 332 335.

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، **المرجع السابق**، ص 171.

54 - عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص 256-257.

55 - تشارلز أو شارل الثالث ملك اسبانيا (1759م - 1788م): ابن الملك فيليب الخامس، وُلد عام 1716م في مدريد، كان عضوًا من أسرة البوربون المالكة في فرنسا، والتي بدأت تحكم إسبانيا في عام 1700م. سجَّل حكمه إصلاحات كبيرة في إسبانيا، التي طوّرت اقتصادها بشكل كبير، كما أدخلت تعديلات عصرية على نظامها الإداري، وشجعت بناء الترسانات البحرية ونمو الصناعة. وحرّرت التجارة وحسَّنت نظام النقل في الدولة، وأصدرت أول عملة إسبانية ورقية. وفي عام 1767م، وخلال الثورة الامريكية (1775م – 1783م) ساعد تشارلز المستعمرات الأمريكية ماديًا ودبلوماسيًا. أنظر:

- أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المجلد 10، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص398 وما يليها.

56 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق، ص 199.

57 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق، ص 200.

58 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 324.

- Henri Garrot: **Op.cit :** p 579.

59 - هو السلطان محمد بن عبد الله، ولد عام 1710م، وحكم المغرب الأقصى ما بين (1757م و1790م) استطاع أن يعيد الأمن والاستقرار لدولته بعد الفوضى التي عمتها، كما أقام علاقات دبلوماسية جيدة مع دول أوروبا، وغير سياسة المغرب في التعامل مع الدولة العثمانية، وكان من ملوك المغرب البارزين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. أنظر:

- ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين**، دار الرشاد الحديثة، ثلاثة أجزاء، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000، الجزء الثالث، ص ص 84 - 118.

60 - **نفسه:** ص 114.

61 - الكونت أوريلي le comte O'Reilly: قائد الحملة الاسبانية على الجزائر عام 1775م، من أصل إيرلندي ولد سنة 1735م من أبوين كاثولكيين، شارك إلى الجانب الجيش الإسباني في عدة معارك في كل من إيطاليا والنمسا، وأصيب في واحدة منها. أنظر: - Henri Garrot: **Op.cit :** p579 .

62 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 325.

63 - جون ب. وولف: **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2015، ص 406.

64 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 325 - 326.

65 - Henri Garrot: **Op.cit :** p 581.

66 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 330 - 331.

67 - عزيز سامح إلتير: **المرجع السابق**، ص 539.

68 - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 510 - 511.

69 - اللنجور هي سفينة حربية، تتميز بسرعتها وخفتها، وتحمل مدافع صغيرة، بالإسبانية تعرف La Lancha، ولم يعهد الجزائريون بمثلها، لذلك تسببت في خسائر متفاوتة لهم في الايام الاولى من حملة دون أنطونيو Don Antonio، على الجزائر عام 1783م. أنظر:

- أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة**...، المرجع السابق، ص 512 وما يليها.

70 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 334.

71 – H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 334 - 335.

72 - أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 32.

73 - **نفسه:** ص 32.

74 - عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص 291-292.

75 - أحمد الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص 32.

76 - Henri Garrot: **Op.cit :** p 582.

77 - جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق، ص 204.

78 - Henri Garrot: **Op.cit :** p 582.

79 - يحي بوعزيز: **وهران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص 106.

80 - هم طائفة من أبناء المنطقة الوهرانية من ضعاف النفوس، استمالهم الجواسيس الاسبان عن طريق إغرائهم بالأموال أو الجاه والنفوذ، فأوجد بهم شبكة من العملاء، الذين قدموا خدمات دنيئة ضد شعبهم ودينهم، بعد أن باعوا أنفسهم إلى المحتلين، من أمثال بعض القبائل المحلية المتعاونة، التي كانت تزود الاسبان بما يحتاجونه من معلومات، ومؤن، وحتى الماء في حالة الحصار، وذلك برًا وبحرًا، بل تعدى الأمر ذلك بكثير حيث أقدموا على ضرب إخوانهم لصالح الاسبان، فكانوا من العوامل التي ساعدت في تثبيت الوجود الاسباني بالمنطقة، وحماية مصالحه ومجاله الحيوي. أنظر:

- عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، مخطوط مقتبس من المجلة الإفريقية (وهو مطبوع في طبعة جديدة)، عدة صفحات. وأيضا: محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013، ص 188.

81 - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013، ص 445 – 446.

82 - الإمبراطورة كاترين الثانية Catherine II (1729م – 1796م)، إمبراطورة روسيا الثانية عشر من من 1762م حتى وفاتها عام 1796م عن عمر يناهز الـ 67 سنة، كانت الأكثر شهرة والأطول مدة لحاكم أمراة لروسيا، فترة حكمها كانت تسمى العهد الذهبي لروسيا. جاءت إلى السلطة في أعقاب اغتيال زوجها بيتر الثالث في نهاية حرب السبع سنوات، أعيد تنشيط روسيا تحت حكمها، وتزايدت أكبر وأقوى من أي وقت مضى، وأصبحت معترف بها باعتبارها واحدة من القوى العظمى في أوروبا. ولقد عرفت طوال مرحلة حكمها صراعا كبيرا مع الدولة العثمانية، توسعت جرائه على أراضي واسعة من مناطق نفوذها. أنظر:

- منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م، ص352.

83 - Moulay belhamissi: **alger , l'europe et la guerre secrete (1518 – 1830),** editions dahlab, alger, 1999, p 52 – 53.

84 - **Ibid** : p 53.

85 - الدَنْمَارِك أو الدَانِمَارِك أو الدَانِمَرْك Danemark: رسمياً مملكة الدانمارك، بالإضافة إلى جزيرة غرينلاند وجزر فارو، هي من الدول الاسكندينافية الواقعة بشمال أوروبا، وتقع جنوب غرب مملكة السويد، وجنوب مملكة النرويج، وتحدها من الجنوب ألمانيا، كما تطل على كل من بحر البلطيق وبحر الشمال، وتتكون البلاد من شبه جزيرة كبيرة، هي جوتلاند، والعديد من الجزر التي غالباً ما يشار لها بالأرخبيل الدنمارك، سيطرت الدنمارك منذ فترة طويلة على مدخل بحر البلطيق قبل حفر قناة كيل الألمانية الاولى عام 1784م، والثانية عام 1887م، حيث كان الممر المائي لبحر البلطيق عبر قنوات ثلاث معروفة باسم المضائق الدانماركية، كان لها دور في الملاحة والتجارة البحرية بالبحر المتوسط خاصة في القرن الثامن عشر. أنظر:

- أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **الموسوعة العربية العالمية...المرجع السابق**، المجلد 10، ص398 وما يليها.

86 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 319.

- Henri Garrot: **Op.cit :** p 578.

87 - Moulay Belhamissi: **Alger, l'Europe… Op.cit :** p 174.

88 - مولود قاسم نايت بلقاسم: **المرجع السابق**، الجزء الأول، ص 100.

89 - H.-D.De Grammont : **Histoire d'Alger sous …, Op. Cit**, P 319.

- Henri Garrot: **Op.cit :** p 578.